ما هو علم الكلام؟

التسمية

إن هناك تسميات والقابا للعلم الذي يبحث في العقائد الدينية من أشهرها ، «علم الكلام» كما قد يسمّى بتسميات أخرى، مثل: «أصول الدين» و «الإلهيات» و «علم العقائد» و «الفقه الأكبر» «علم التوحيد» و «علم أصول الدين» وغيرها.

أما سبب تسمية هذا العلم بـ «الكلام» فذكرت له عدة وجوه.

الف: البحث حول حدوث الكلام الإلهي وقدمه

قالوا: الوجه في تسمية هذا العلم بـ «الكلام» هو البحث الذي دار حول الكلام الإلهي في حدوثه وقدمه ، إذ أن هذا البحث صار معركة للآراء بين المتكلمين خصوصا وقد اصبحت مسألة حدوث الكلام الإلهي وقدمه مورد اهتمام الحكام العباسيين ، فبعضهم - كالمأمون والمعتصم والواثق - وافقوا المعتزلة القائلين بحدوث الكلام الإلهي وبعضهم - كالمتوكل - وافق أهل الحديث القائلين بقدمه . ومن وقتها تحولت المجادلات الكلامية إلى نزاعات سياسية، واشتدت الخصومات في ذلك، فسمّي علم العقائد بـ «الكلام» تسمية النوع باسم الفرد، أو الكل باسم الجزء ، وفي ذلك يقول الشهرستاني : «إما لأنّ أظهر مسألة تكلموا فيها وتقاتلوا عليها هي مسألة الكلام، فسمي النوع باسمها ..

ويرد عليه ، ان اسم الكلام كان يطلق على هذا العلم في عصر متقدم على تلك النزاعات السياسية في مسألة الكلام الإلهي، كما سيوافيك بيانه . نعم، كان البحث حول الكلام الإلهي مطروحا قبل عصر العباسيين، ولكن لم يكن من أظهر المسائل ولا أشهرها حتى يؤخذ وجها للتسمية بذلك.

ب- المقابلة للفلاسفة

ربما يقال ، إن علماء العقائد إنما سمّوا علمهم باسم «الكلام» لمقابلة الفلاسفة، إذ كانوا يصدرون أبحاثهم الفلسفية بالمسائل المنطقية، والمنطق مرادف للكلام، فأراد علماء

العقائد أن يستغنوا في أبحاثهم عن المنطق، الذي جاء من اليونان، مقترنا بورود الفلسفة إلى العالم الإسلامي، فسموا علمهم بـ «الكلام» لذلك، وإليه أشار الشهرستاني بقوله : وإما لمقابلتهم الفلاسفة...

ويرد عليه:

أولا: إنّ هذا الوجه - على فرض صحته - يرجع إلى زمن متأخر، أعني : بعد ترجمة كتب المنطق والفلسفة إلى العربية في عهد مأمون، فيما أنّ اسم الكلام والمتكلم كان معروفا في عهد متقدم على ذلك.

وثانيا : إنّ علم الكلام ليس علما مستقلا عن علم العقائد، حتى يجعل الأول مقدمة للثاني ، كما أنّ المنطق مقدمة للفلسفة . وثالثا: علم المنطق ليس مقدمة للفلسفة فقط، بل هو مقدمة لجميع العلوم خصوصا العلوم النظرية والعقلية، ومنها علم الكلام، فالمتكلم لا يستغني في أبحاثه عن علم المنطق .

ج- عناوين المسائل

قيل : إنّ الوجه في تسمية علم العقائد بـ «الكلام» هو أنّ المتكلمين كانوا يبتدئون أبحاثهم بقولهم : الكلام في كذا ، وهذا صار سببا لتسمية علم العقائد بهذا الإسم، وإلى هذا الوجه أشار صاحب المواقف، بقوله : «أو لأن أبوابه عنونت أولا بالكلام في كذا .

يرد عليه: أنّ هذا احتمال مجرد عن أي شاهد ودليل، مع بعده في حد ذاته .

د- إحكام الأدلة

قيل : إن دلائل علم الكلام دلائل يقينية، واليقين سبب لقوة الدليل واستحكامه، والكلام إذا كان مستندا بالدليل اليقيني، كان له قوة واستحكام، واستحق لأن يسمى باسم الكلام مطلقا، وإليه أشار التفتازاني، بقوله: «ولأنه لقوة أدلته صار كأنه هو الكلام دون ما عداه ، كما يقال للأقوى من الكلامين : هذا هو الكلام .

ويرد عليه :

أولا: أن الأدلة الكلامية ليست بيقينية مطلقا، بل - كما سيوافيك بيانه - ان المتكلم يستفيد من جميع المناهج المنطقية، ولا ينحصر ذلك بالدليل اليقيني . وثانيا : لو

كان هذا هو الوجه لتسمية علم العقائد بـ «الكلام»، لكانت الفلسفة أو الرياضيات أولى بذلك.

هـ- القدرة على التكلم في الإلهيات

هناك وجه آخر في تسمية علم العقائد بـ «الكلام»، وهو أن هذا العلم يعطي للباحث قدرة بالغة في المناظرة والتكلم في الإلهيات مع المخالفين، وقوة كافية في تبيين العقائد وإثباتها، والإجابة على الأسئلة والشبهات المطروحة في هذا المجال، قال صاحب المواقف، أو لأنه يورث قدرة على الكلام في الشرعيات، ومع الخصوم.

وقريب منه ما ذكره ابن خلدون بقوله، إما لما فيه من المناظرة على البدع، وهي كلام صرف، وليست براجعة إلى عمل». وهذا الوجه أجدر بالاعتبار من غيره، إذ ركز فيه على عنصر المناظرة في علم العقائد، وهو عنصر رئيسي في هذا العلم، كما أن المناظرة لا تتأتى - في الغالب - إلا بالتكلم والبحث، خصوصا في الأزمنة المتقدمة، ومهمة علماء هذا العلم ليست براجعة إلى العمل بل راجعة إلى الاعتقاد والقول.

- علي الرباني الكلبايكاني ، ما هو علم الكلام ، ط مكتب الاعلام الاسلامي، ١٤١٨ هـ.